التطبيع مع الاحتلال الصهيوني ودورهُ في إذكاء عقيدة الاستعمار الاستيطاني

كمال عمار بوناب

مستلة من كتاب

محسن محمد صالح (محرر)، دراسات في التطبيع مع الكيان الصهيوني (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2022)، ص 85–107.

بريد إلكتروني: info@alzaytouna.net الموقع: www.alzaytouna.net

يمكنكم التواصل معنا والاطلاع على صفحات المركز عبر الضغط على التطبيقات أدناه:

الفصل الثالث

التطبيع مع الاحتلال الصهيوني ودورهُ في إذكاء عقيدة الاستعمار الاستيطاني

كمال عمار بوناب

التطبيع مع الاحتلال الصهيوني ودورهُ في إذكاء عقيدة الاستعمار الاستيطاني

كمال عمار بوناب[1]

ملخص:

تستقصي هذه الورقة البحثية مسعى الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في تطويرِ خطابٍ وممارسةٍ بشكلٍ مستقلٍ وقادرٍ على إزاحة التقاليد الاستعمارية الراسخة، وتفترضُ أن خطاب التطبيع وقراره مع دولة الاحتلال يعكسُ انزياح السياسات الخارجية العربية إلى مصيدة سوء الإدراك، والتي تتساندُ بدورها مع بيئةٍ غير يقينية فرضتْ تبعيةً لبِنْيَوية النظام الدولي؛ وتُحاججُ بأن المقاومة ورفض التطبيع مَنْفذٌ لبناء سياساتٍ خارجية اجتماعية، تُستدعى فيها محدّدات الهوية والمكانة والشرف، عِوضاً عنْ، وعَزماً على إحداثِ قطيعةٍ مع ما هو سائدٌ في الخطاب الرسمي العربي منَ النّظَرِ إلى السياسة الدولية بعدساتِ الواقعية ومُتشابكاتِها من مكاسبٍ نسبية ومصلحةٍ وطنية ضيّقة، وما يترتّبُ عن هذه السيْرُورة من صَيْرُورةٍ إلى التبعية والإذلال.

الكلمات المفتاحية:

الاستعمار الاستيطاني	التطبيع	سوء الإدراك
السياسة الخارجية	البِنْيَوية	الواقعية
البِنائية الاجتماعية	تحليل الخطاب	المُقاومة

[1] **كمال عمار بوناب:** أستاذ محاضر في الجامعة الجزائرية. باحث مختص في العلوم السياسية والعلاقات الدولية. نُشرَ له نحو 30 بحثاً في المجلّات العلمية المُحكّمة، وأُسندتْ له مهام تحكيم العديد من المقالات العلمية.

مقدمة:

مُنحت جائزة سابير Sapir Prize الصهيونية للأدب سنة 2014 للكاتب روفن نامدار Reuven Namdar الذي وُلد في الأراضي المحتلة وانتقل للعيش في نيويورك، وترتّب عن ذلك جدل كبير وانتقادات واسعة منَ الوسط الأدبي الصهيوني، وتعالت أصواتٌ تُنَدّدُ بمنح الجائزة لمؤلف خارج "إسرائيل" بينما يكافح الباقون من أجل البقاء؛ عبّر أحد أعضاء لجنة التحكيم عن صدمته من حظوةِ شخص يعيش ظروفاً اقتصادية مختلفة، يسحبُ جواز سفره من الدرج، ينفض عليه الغبار، يأتي ليظفر بالفوز ويعود لمنزله؛ واستجابةً لهذه الشكاوى قامت إدارة لجنة الجائزة بتعديل المعايير سنة 2015 واستبعاد الكتاب الذين لا يعيشون داخل الكيان المحتل؛ خلافاً لسائر الحضارات والعقائد وحدها الصهيونية من تُخضع الأدب للمبادئ الإقليمية؛ سيتمّ استيعاب هذا الاستثناء إذا عُرفَ أن الأرض والهجرة ركيزتان في أيديولوجية الصهاينة المُفعمة بالنظرة القومية ضيقة الأفق والكراهية للآخر المختلف،[2] فالعنصرية هي شرط بقاء "إسرائيل" الاستعمارية، وخلافاً لما كانت عليه الجزائر وجنوب إفريقيا، تستندُ العنصرية الصهيونية إلى قرارات عسكرية مُبهمة وقوانين طوارئ قاسية وغير صالحة تكرّس ثالوث: التمييز العرقي والاضطهاد والتشظية المناطقية.[3]

برّرت بعض الدول العربية خطوةَ تطبيعها مع الاحتلال الصهيوني بأنها إسهامٌ لوقف مساعي ضمّ الأراضي؛ لم يكن هذا الادعاء يحتاج تفنيداً ميدانياً أو رسمياً لإثبات بطلانه، فمساقاتُ ومسارات الكولونيالية الاستيطانية في الأراضي المحتلة كفيلةٌ بنسفِ كلّ حجّةٍ مماثلة؛ غير أن هذه الورقة البحثية تُسائلُ ما هو أبعدَ من ذلك، وتُحاجج بأنَ "الاتفاق الإبراهيمي" ما هو إلا عارضٌ لتراكماتٍ أنتجها النظام الدولي في حدّ ذاته، استحالتْ وفقه الدول العربية إلى متاهةِ التبعية والإذلال، وسوء الإدراك، والتمسّك المفرط بالمقاربة الواقعية والمكاسب النسبية والمُقاطَرة، في مقابل توجّه باقي الفواعل الدولية إلى هندسةِ سياساتٍ خارجية اجتماعية تحتفي بالهويات، والأفكار، والمكانة،

---

[2] Ori Yehudai, *Leaving Zion: Jewish Emigration from Palestine and Israel after World War II* (Cambridge: Cambridge University Press, 2020), p. 238.

[3] جون دوجارد، "نظام وممارسات الفصل العنصري في كل من جنوب إفريقيا وفلسطين،" صحيفة **حق العودة**، المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين "بديل"، فلسطين، العدد 46، كانون الأول/ ديسمبر 2011، ص 2.

والشرف، والغيْرية، وهو ما أحالَ المقاومة، كفعلٍ طبيعي وأصيل ومعبّر عن الكينونة ما بعد الاستعمارية للدول العربية، إلى غُربةٍ وشذوذ؛ بناءً عليه تسعى الورقة البحثية إلى ضبط الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي: لماذا يُعدّ التطبيع العربي مع الاحتلال الصهيوني سوءَ إدراكٍ لعقيدة الاستعمار الاستيطاني؟؛ ويستتبِعُ ذلك طرح التساؤلات الفرعية التالية: كيف تؤثرُ موقفية الدول العربية في النظام الدولي على حُسنِ إدراكهم للقضية الفلسطينية؟ وما هي متطلبات تصفية التطبيع؟

تستدعي محاولات الإجابة عن الأسئلة السابقة طرح مجموعة من الفرضيات يتكفّل متنُ الورقة البحثية إثبات صحّتها:

1. إن سوء إدراك الدول العربية للقضية الفلسطينية ولخطر الاستعمار الاستيطاني يتساندُ مع تبنّيها سياسات خارجية مُنحازة للواقعية، ومتجاهلة لراهنية وضرورة البناء الاجتماعي لهذه السياسات.
2. التطبيع هو تَمثّلٌ للانكسار النفسي، وتوغّلٌ في تغليب ميزان القوى الدولي غير المتوازن أصلاً.
3. إن سياسة التطبيع مع دولة الاحتلال تنجمُ عن سوء إدراك لعقيدة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، وإن عدم الإلمام بهذه العقيدة عربياً من شأنه أن يجعل منها أكثر ممارسة ونفوذاً وتغلغلاً.
4. إن تطبيعَ العلاقة مع المقاومة وتقويتها حقّ طبيعي مكفول للردّ على انحرافات التطبيع مع الاحتلال الصهيوني، ولن يتأتى ذلك إلا بوفاقٍ داخلي يشمل الشتات، وعلى أساس مراجعة نقدية لنكبة 1948 إجرائياً، ونكبة أوسلو نظرياً وإمبيريقياً.

تهدفُ الورقة البحثية إلى الوقوف على مكامن الخطر تجاه الحقيقة التالية المُثبتة فعلياً لا بلاغياً: "كولونيالية استيطانيةٌ ذكية ومتحوّرة يقابلها إدراكٌ عربي سيء وغير يقظْ"؛ وتُراهنُ في ذلك على تقديم حُمولةٍ مفاهيمية ذات أولويةٍ من شأنها أن تسهم في تجاوز الفاقة الإبستمولوجية التي تعاني منها النظرية والممارسة السياسية العربية في كلّ ما يرتبط بالاستعمار الاستيطاني وَسوء الإدراك في السياسات الخارجية؛ وتلفتُ الورقة إلى أن هذه المناظرة غير المتكافئة تجسّدت في تضاربات مفاهيمية متباينة، يبدو وفقها تجسيرُ الهوّة بين المستعمِر والمستعمَر مُستعصياً؛ فالتطبيع في الفكر الصهيوني

يُحيلُ إلى قَبول الأطراف العربية لدولة "إسرائيل" بأساسها الأيديولوجي[4] المُبهم والانسيابي، والذي يظلّ فيه الاستيطان استجابةً لمركزية فعل الهجرة ورمزيتها، سواءٌ صوّرَ الخطاب هذه الهجرة على أنه مشهدٌ صهيوني راقٍ، كما عبّر عن ذلك بنيامين نتنياهو لدى استقباله أكثر من 400 مهاجر في كانون الأول/ ديسمبر 2020، أم أملاً في العثور على فرص اقتصادية أفضل؛ كما أثبت ذلك المؤرخ غور ألروي Gur Alroey مستدلاً بهجرة يهود أوروبا الشرقية.[5]

تسعى الورقة البحثية إلى تشريح مادة سوء الإدراك العربي للاستعمار الصهيوني عبْر تبنّي حُزمةٍ من الاقترابات والمصفوفات النظرية، يمكنُ إجمالها فيما يلي:

1. **المنظور الواقعي البِنيَوي:** يُسلّطُ هذا المنظور الضوء على قُدرة تأثير بنية النظام الدولي في تقييد شخصية الفاعلين وسلوكهم، ويستندُ إلى فرضية أن الوحدات تتصل ببعضها وفق علاقة سلطة وخضوع "الهيراكية" أو ما ينفي هذه العلاقة "الفوضى"؛[6] هذا المنظور هو إقرارٌ وتفسيرٌ لتوجّه الدول العربية نحو التطبيع.

2. **المنظور البنائي – الاجتماعي:** يؤكد هذا المنظور على أن البنيات الفكرية والمعيارية والهوياتية لها قدرة وأهمية البنيات المادية نفسها في تشكيل سلوك الفاعلين الاجتماعيين والسياسيين؛[7] يُطرح هذا المنظور كإسهام شائعة ومتبنّاة في المُنتظم الدولي ومُهملةٍ في السياق العربي، ويُقترح كبديل لتجاوز دوامة التبعية والإذلال، مُتعاضداً في ذلك بجسرٍ يمتد إلى التقاليد النظرية التأملية لا سيّما ما بعد الاستعمارية في العلاقات الدولية.

3. **منظور علم النفس السياسي:** يُعنى هذا المنظور بدراسة السلوك السياسي، أي مجموع الأنشطة التي ترمي إلى تحقيق غاياتٍ سياسية معينة، ويتجاذبُ هذا المنظور نقاشٌ نظري بين "المَوْقفية" التي تفترضُ أن البيئة هي محدّد سلوك صنع القرار

---

[4] محسن عوض، **الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية**، سلسلة الثقافة القومية (16) (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988)، ص 14.

[5] Ori Yehudai, *Leaving Zion: Jewish Emigration from Palestine and Israel after World War II*, p. 21.

[6] جاك دونللي، "الواقعية،" في سكوت بورتشيل وآخرون، **نظريات العلاقات الدولية**، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين (11)، ترجمة محمد صفار (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014)، ص 59.

[7] كريستيان رويس سميث، "البنائية،" في سكوت بورتشيل وآخرون، **نظريات العلاقات الدولية**، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين (11)، ترجمة محمد صفار (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014)، ص 331.

وَ"النزوعية" التي تُرجعُ السلوك إلى نتاج للاعتقادات المعرفية والأُطر الذهنية والخبرات المُتراكمة،[8] وقد سيقَ هذا التضارب للاستعانة بمفهوم سوء الإدراك لدى روبرت جرفيس Robert Jervis وتوظيفه في قراءة دلالات التطبيع العربي.

4. **المنظور ما بعد البنيوي:** يُستحضرُ هذا المنظور لتحليل خطاب دول التطبيع وتفكيكه، وتلمُّس خطوط علاقة القوة بالمعرفة، والحفْر الجنيالوجي والنسابي في مثلث: التطبيع – الاستعمار الاستيطاني – القضية الفلسطينية.

أولاً: ضبط مفهوم الاستعمار الاستيطاني:

نسجَت الإمبريالية الأوروبية، بين أواخر القرن الخامس عشر والتاسع عشر، شبكةً تعتمد على حركة الشعوب ورؤوس الأموال والتكنولوجيا والأفكار؛ في خضمّ هذا المسار تمّ إعادة تصنيع العالم والتّوجه رأساً نحو نمط الإمبراطوريات الممتدة والمتصلة بإفريقيا وآسيا والأمريكيتين والمحيط الهادي؛ وعلى هامش هذا المسعى في الهيمنة على سيادة باقي التجمعات السياسية نشأت مصطلحات الاستعمار الذي يعني السيطرة على أراضٍ معينة من طرف جماعة غير أصلانية بطرق استيطانية ضخمة أو محدودة؛[9] والمُستعمَرة التي ترمز إلى هيئة سياسية تُسيطر عليها وكالة خارجية أو كيان سياسي يُعيد إنتاج نفسه في بيئة ما.[10]

يستعيضُ آدم واتسون Adam Watson في تحليل العلاقات الدولية عنْ نظام وستفاليا Westphalian System بنموذج النظام الإمبريالي، ويفترض بأن أيّ مجتمع سياسي يعيش تجربةً ثابتة بين الرغبة في النظام والتي لن تتحقق إلا تحت مظلة الإمبراطورية، والدافعية نحو الاستقلال التي لا تتوافر إلا في ظلّ الفوضى؛ هذا التوتر القائم سيدفع البَنَدول الافتراضي إلى التوقف، والاستقرار عند النقطة التي تميلُ لها

[8] دايفد باتريك هوتون، **علم النفس السياسي: أوضاع، وأفراد، وحالات**، ترجمة ياسمين حداد (الدوحة، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص 22–23.

[9] David Pearson, *The Politics of Ethnicity in Settler Societies: States of Unease* (New York: Palgrave Macmillan, 2001), pp. 3–4.

[10] Lorenzo Veracini, *Settler Colonialism: A Theoretical Overview* (New York: Palgrave Macmillan, 2001), pp. 2–3.

فواعل العلاقات الدولية: علاقات الهيمنة؛[11] وغالباً ما تتحكّم الدولة الإمبريالية الأم في حيوات الشعوب المستعمَرة، وتستفيد من الدمج بين قوة عمل السكان الأصلانيين وموارد المستعمَرة، بمقابل حرصها على مُصادرة فائض القيمة واحتجاز تطوّرها الاقتصادي والاجتماعي؛[12] وبحسب جورج بالانديه Georges Balandier فإن الاستعمار يتّسم بالهيمنة التي تفرضها أقلية أجنبية متمايزة ثقافياً وإثنياً، وتتصرّف على أساس منطلقات العنصرية ودغمائية التفوق الثقافي؛[13] ومن شأن هذا التعريف للاستعمار أن يُحيل إلى طرح فرضيات غير مُتبنّاة عن أصل الدولة التي تُبنى أساساً بطريقتين: التجمع الإرادي والسيطرة المفروضة من قوى خارجية؛ ويثبتُ واقع الحال أنّ دول الغزو أكثر عدداً بما لا يقاس من الاتحادات الفدرالية؛[14] وذلك يتوافق مع تزايد الدعوات إلى نسيان وستفاليا لأن الدولة الحديثة وُلدت من رحم ظاهرتَيْ الكولونيالية والعرق، وأن الليبرالية انبثقت من نشاط المضطهدين، وأن فكرة المساعدة المرتبطة بالتنمية الدولية فكرةٌ فاحشة وعنصرية تَحْتفي بأيديولوجية تفوق البِيض وتبْييض التاريخ، وأن بديل ذلك هو أفكار الكرامة والإصلاح؛[15] حتماً ستتغيرّ عديد المعطيات مع الوافد، الذي لم يأخذ حقّه من الدراسة والتحقيق، وهو الاستعمار الاستيطاني.

يشرح لورينزو فيراتشيني Lorenzo Veracini حاضر ظاهرة الكولونيالية الاستيطانية بأربع مقولات أساسية:[16]

1. **الكولونيالية الاستيطانية ليست استعماراً:** الاستعمار له شكل فيروسي، والفيروسات تواجه أربع تحديات رئيسية؛ كيف تنتقل من عائل إلى آخر، وكيف تخترق إحدى خلايا العائل، وكيف تتحكم في أجهزة الخلية لتُنتج نسخاً جديدة عن

---

[11] Barry Buzan, *An Introduction to the English School of International Relations: The Societal Approach* (Cambridge: Polity Press, 2014), p. 53.

[12] وليد حباس، "مفهوم الاستعمار الاستيطاني: نحو إطار نظري جديد،" مجلة **قضايا إسرائيلية**، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، رام الله، العدد 66، 2017، ص 118.

[13] Lorenzo Veracini, *Settler Colonialism: A Theoretical Overview*, p. 4.

[14] جورج بالانديه، **الأنتروبولوجيا السياسية**، ترجمة علي المصري (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1990)، ص 184–185.

[15] Gurminder K. Bhambra et al., "Why is Mainstream International Relations Blind to Racism?," site of *Foreign Policy* magazine, 3/7/2020, https://foreignpolicy.com/2020/07/03/why-is-mainstream-international-relations-ir-blind-to-racism-colonialism/

[16] Lorenzo Veracini, *The Settler Colonial Present* (New York: Palgrave Macmillan, 2015), p. 6.

الفيروس ذاته، وكيف تواصل العمل على العائل التالي؛[17] وبالمثل، في سياق علاقة نموذجية بين السيد والعبد يحتاج المستعمِر إلى شعوبٍ مستعمَرة ليتشبّث بالحياة؛ خلافاً لذلك يتخذ الاستعمار الاستيطاني شكلاً بكتيرياً، إذ لا تحتاج البكتيريا للخلايا الحية حتى تتكاثر، يكفيها فقط أن تلتصق بالأسطح وتشكّل تجمعات تسمى بالأغشية الحيوية أو الحصير الميكروبية، وعلى منوال ذلك تلتحق جماعات الاستيطانيين بالأرض، غير أنهم لن يكونوا في حاجة إلى الآخرين الأصلانيين، لا سيّما ما يتعلّق بسرديات المستوطنات النقية.

2. **الاستيطانيون ليسوا بمهاجرين:** تتحكم في هذه المقولة حجّتان متضاربتان تقعان على طرفي طيف متعارض؛ تفسّر الأولى الهجرة على أنها إرادية بالكامل، بينما تردّها الثانية إلى إجبارٍ يقوم على الفقْد المطلق للاختيار؛ وفي موقعه الجديد سيكون المستوطن قادراً على استحضار نفسه ومن ثمّ سيحتكر حظوة الساكن الأصلي في الترحيب بالآخرين من عدمه.

3. **الاستعمار الاستيطاني ليس في مكانٍ آخر:** في سنة 2007 صوّتت كتلةٌ من الدول وهي: كندا، ونيوزيلندا، وأستراليا، والولايات المتحدة الأمريكية ضدّ إعلان حقوق الشعوب الأصلية الأممي؛ ومثل ما دلّ هذا السّلوك على محورية الشعوب الأصلية في الكولونياليات الاستيطانية، فإنه يدلّ أيضاً على أن النظام السياسي يسيطر عليه الوافدون حصرياً، وأن الديموقراطيات الليبرالية تستبطنُ مواجهة بين الأهالي والاستيطانيين.

4. **الاستعمار الاستيطاني ليس بِمُنْتهٍ:** تترسّخ في عالم اليوم دعائم عدم الاستقرار، حيث إنّ 10% من سكان العالم مرشحون لأن يكونوا لاجئين، فتغيّر المناخ سيستدعي نقل السيادة والسكان، وهذا هو جوهر المشاريع الكولونيالية الاستيطانية؛ ستكون هناك حاجة ملحة للاقتباس، ولو تحويراً، من فكر فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche ومارتن هايدغر Martin Heidegger، سيصنعُ الاستعمار الاستيطاني بشراً جُدداً، فلا ثورة استيطانية دون بشر أفضل يُصمّمهم الاستيطان ذاته،

---

[17] ديفيد كوامن، **الفيض: أمراض الحيوانات المعدية وجائحة الوباء التالية بين البشر – الجزء الثاني**، سلسلة عالم المعرفة (416)، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2014)، ص 9.

وسيكون هناك تراكمٌ للروايات والأعمال السينمائية ذات الإيحاءات الاستيطانية على غرار قصص الأفلام عن مصّاصي الدماء: دراكولا Dracula وتوايلايت Twilight.[18]

إذاً؛ تتحدّى ظاهرة الاستعمار الاستيطاني بشكل جذري التنمطيات والتصنيفات المعتادة للاستعمار، وتعلن تمرّدها على التيبولوجيا المُتداولة في تقسيم المُستعمرات إلى مختلطة ومزروعة ونقية، وتقلّل من قيمة الارتباط بالمركز الميتروبوليتاني، وتعدُ في المقابل بقلبٍ تامّ للموازين، إذ بمجرد أن يصبح الاستيطانيون أغلبية سيكفّون عن التصرّف كونهم مستعمِرين، ولن يكون من المتاح للسكان الأصلانيين إلا أن يستوعبوا أنهم أصبحوا أقلية لكي يكفّوا عن الاعتقاد بوجود مستعمِر؛ وتُدْعمُ هذه الفكرة من نظرية "استخلاص الشظايا" في ستينيات القرن العشرين للويس هارتز Louis Hartz الذي دعا إلى تطويرٍ منفصل لمجتمع جديد غير خاضع لأحكام المجتمع القديم ومتحرّر من الاستعمار، وفي سنة 1972 وصف أرغيري إمانويل Arghiri Emmanuel المستوطنين بأنهم قوة ثالثة غير قابلة للاختزال، وبُعدٌ ثالث من صيغ نضال الشعب النبيلة ضدّ الإمبريالية،[19] في حين ارتدى إدوارد جودن Edward Goodin عباءة الناصح للبشرية محاججاً بأنه يجب أن نستوطن مثل المستوطنين لكي نعيش حياة أفضل.[20] هكذا؛ أحاط الاستعمار الاستيطاني نفسه بسياجٍ من البراكسيس تتوحّدُ فيه النظرية والأيديولوجيا والممارسة؛ العلاقة بينهم دوريةً ومتبادلة، بل إن البعض رفعه إلى مصاف اليوتوبيا والمدينة الفاضلة التي تعِدُ بواقع أكثر واقعية من ما هو قائم، وفي جانب آخر تظهر "المدرسة الأسترالية" محايدة ومكتفية بتشريح وشرح للظاهرة؛ باتريك وولف Patrick Wolfe، مثلاً، يعتقد أن الاستعمار الاستيطاني يقوم على منطق "الإزالة" للسكان الأصلانيين، هدفه الحصول على الأرض وتدشين رأسمالية جديدة يعاني فيها الأصلاني من الغربة الثقافية؛ محاورةٌ لخّصها فيراتشيني في مخاطبة المستعمِر الاستيطاني للمستعمَر "أنت ارحل من هنا"، عوضاً عن "أنت، اعمل لدي"، وهي العبارة السائدة في الاستعمار الكلاسيكي؛[21] وبين هذا وذلك

[18] Lorenzo Veracini, *The Settler Colonial Present*, pp. 13 and 94.

[19] Lorenzo Veracini, *Settler Colonialism: A Theoretical Overview*, pp. 5 and 7.

[20] Lorenzo Veracini, *The Settler Colonial Present*, p. 6.

[21] وليد حباس، "مفهوم الاستعمار الاستيطاني: نحو إطار نظري جديد،" ص 115.

يبدو أنّ القلم العربي كان غائباً عن رصد فهم هذا النوع المتحوّر من الاستعمار، ما جعل أحجية التطبيع العربي ومحجّاتها قابلة لأن تصنّف في خانة سوء الإدراك في العلاقات الدولية.

ثانياً: سوء الإدراك في السياسة الخارجية:

تُعدّ مقولة "موقفك يعتمد على موقعك" معبرة عن ومفسرة لجنوح نظريات العلاقات الدولية السائدة إلى تمثّل صيغ مفرطة من المقاربة الموقفية التي تعظّم من تأثير الموقف والوضع في النظام الدولي على سلوك الدولة بمقابل انتقاصها من سائر خاصياتها، فكل ما فوق النزعات الفردية يكون موقفياً؛ هذا الاستحضار المفرط لمقاربة الإنسان الاقتصادي المدرِك عقلانياً للمحيط، وتبيئتها على مفهوم الدولة، يبدو قاصراً عن تقديم شروحات وافية حول أسباب استكانة الدولة لـ"الإذعان" الصادر من إشارات النظام الدولي،[22] و"الإذلال" الذي بات عنصراً مهيكلاً للسياسة الدولية، يقوم على سياسة ممنهجة في إنكار الآخر ورفضه والتنكر لحقوقه وتمايزه، تزامناً مع صعود مطرد لنظرة عالمية منغلقة على ذاتها تبدو فيها الغيْرية خاضعة لمقاييس يفرضها الأقوياء.[23]

دفع روبرت جرفيس، في كتابه "الإدراك وسوء الإدراك في السياسة الدولية" سنة 1976، بعلم النفس إلى الواجهة في مجال العلاقات الدولية، محاججاً بأن المنطلقات الموقفية لا تكفّ لتفسير قرارات القادة، ومحللاً طرائق التفكير التي تؤدي بهم إلى تفسير الإشارات التي يتعمّد القادة الآخرون إرسالها،[24] متسائلاً عن أسباب وعواقب سوء الإدراك وأنماط الأخطاء الإدراكية التي تحدث بشكل شائع في عملية اتخاذ القرار، مؤكداً على وجود عوامل معرفية باردة تُنتج وجهات نظر غير دقيقة عن العالم؛[25] وسوء الإدراك، حسب جرفيس، مفهوم زلق يصعب ضبطه وتحديده، وثمّة مقاربتان عامتان لتعريفه، تتعامل الأولى معه كنتيجة للفارق بين الإدراك والواقع، ويرتبط في الثانية

---

[22] دايفد باتريك هوتون، **علم النفس السياسي: أوضاع، وأفراد، وحالات**، ص 359، و362.

[23] برتران بديع، **زمن المذلولين: باثولوجيا العلاقات الدولية**، سلسلة ترجمان، ترجمة جان ماجد جبور (الدوحة، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص 14.

[24] دايفد باتريك هوتون، **علم النفس السياسي: أوضاع، وأفراد، وحالات**، ص 364.

[25] Robert Jervis, *Perception and Misperception in International Politics* (Princeton and Oxford: Princeton University Press, 2017), p. 3.

بعملية صنع القرار التي تجنحُ عن النموذج العقلاني القياسي لمعالجة المعلومات، وأكثر أنواع سوء الإدراك أهمية هو سوء إدراك وتقدير قدرات ونوايا الخصوم والأطراف الثالثة؛[26] إضافة إلى سوء الإدراك الناشئ عن توزيع المعلومات الحيوية بشكل غير متساوٍ بين حكومتَيْ الدولتين، وسوء إدراك بفعل تصور خاطئ يميل بالفاعل إلى رؤية ذاته على أنها مركزية في نظر الآخرين، وسوء الإدراك بسبب المبالغة في تقدير مركزية الدولة وافتراض صانعو القرار أن الوكلاء يتصرفون بناء على التعليمات؛[27] إضافةً لميْل القائد السياسي إلى المبالغة في أهمية دولته كونها هدفاً مؤثراً لعداء أو صداقة الدول الأخرى، وغيرها من الأصناف التي تدل في مجملها عن عجز السياسة الخارجية في فهم الحقائق الموضوعية للموقف نتيجة تأثير التصورات والانطباعات على عملية صنع القرار،[28] وبحسب جرفيس فإن السؤال الصحيح لا ينبغي أن يوجه إلى هل كان الإدراك صحيحاً؟، بل إلى ما إذا كان مستمداً من المعلومات المتوافرة؟، ومقياس التقييم في ذلك هو: إلى أيّ حدّ توافقت عملية صنع القرار مع النموذج العقلاني لمعالجة المعلومات؟[29]

يعرّف غراهام أليسون Graham Allison العقلانية بأنها خيارٌ ملائم يحقق قيمة عالية ضمن قيود وعقبات محددة، ويفترض جون فون نيومان John Von Neumann وأوسكار مورجنستيرن Oskar Morgenstern أن يكون للفاعل العقلاني قدرة على ترتيب الأفضليات وتحديد البدائل والعواقب المترتبة عنها، وأن يحقق الفاعل مجموع الأهداف والغايات؛ ويميز الباحثون بين العقلانية الخفيفة التي تشير إلى المتابعة الاستراتيجية للأفضليات الثابتة والمرتّبة، والعقلانية المُشدّدة التي تربط أفضليات القادة بمصالح مادية وشخصية وسعيهم للمحافظة على السلطة وتعزيزها؛ ويتبع القادة في ذلك إرسال أو تفسير إشارات تُفهم على أنها التزامٌ مسبق أو الاستعداد لدفع تكاليف تجنب الخسارة، كما هو الحال في لعبة الشجاع والجبان، أو إبداء نيات التحركات التعاونية، مثل استراتيجية هذا مقابل ذلك لروبرت أكسلرود Robert Axelrod، أو

---

[26] دافيد أو. سيرز وآخرون، **المرجع في علم النفس السياسي**، ترجمة ربيع وهبة وآخرون (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2010)، ج 1، ص 456–457.

[27] Robert Jervis, *perception and misperception in international politics*, pp. 211, and 330.

[28] محمد السيد سليم، **تحليل السياسة الخارجية**، ط2 (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1998)، ص 420.

[29] دافيد أو. سيرز وآخرون، **المرجع في علم النفس السياسي**، ص 460.

قبول صفقة الاسترحام، مثل معضلة استجواب السجينين،[30] لذلك لا تصنّف المعتقدات والرغبات والنيات على أنها أدوات خيالية، بل هي، في مسار صنع قرار السياسة الخارجية، حالات مقصودة تنتج حقائق اجتماعية،[31] فالنيات تدلّ على أن السلوك عمدي وأن الفاعل يخطّط للتصرف بأساليب معينة وفق تباين ظروف المستقبل.[32]

إذاً؛ ظلت دراسة تحليل السياسة الخارجية، ولعقود عديدة، نوعاً من المشاريع الحرة العائمة، غير المترابطة منطقياً، والمنفصلة عن نظريات العلاقات الدولية السائدة، وقد صُنّفت محاولات بول فيوتي Paul Viotti ومارك كوبي Mark Kauppi لربط الحقل بنظرية الاعتماد المتبادل الليبرالية على أنها مشبوهة فكرياً، فيما رأى بريان وايت Brian White أنه لا يوجد اتصال ضروري بين السياسة الخارجية والواقعية، لذلك بدَا أن النهوج النفسية – المعرفية في تحليل السياسات الخارجية ملائمة على نحو أوثق لوعود نظرية البنائية الاجتماعية،[33] التي تُولي أهمية قصوى لأدوار الأفكار والهويات والعقائد في تفسير سلوك الفاعلين؛ وبحسب ريتشارد نيد ليبو Richard Ned Lebow فإن جذور نظريات العلاقات الدولية القائمة تعود إلى الشهوة الليبرالية والماركسية، أو الخوف (الواقعية)، فيما تعرّضت الروح Thumos إلى الإهمال والتجاهل على الرغم من أن الروح متواجدة في كلّ مكان وينتج عنها الدافع العالمي لنيل الاعتراف واحترام الذات، ويتمّ التعبير عنها في السعي نحو الشرف والمكانة؛ وعلى الرغم من أن المؤسسات والدول لا يمتلكون نفوساً ولا عواطف إلا أنّ صانعي القرار وممثلي الجماعات يحوزونها، وهم يقومون في كثير من الأحيان بإسقاط احتياجاتهم وطموحاتهم وانكساراتهم النفسية على وحداتهم السياسية، ومن ثمّ يشعرون بالرضا عن أنفسهم إذا ما أبلت تلك الوحدات بلاءً حسناً أو حققت انتصارات أو ما يبدو أنه كذلك؛ فكثيراً ما كان السعي إلى

---

[30] أليكس مينتس، وكارل دي روين الابن، **فهم صنع القرار في السياسة الخارجية** (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2016)، ص 95، و111.

[31] Nicholas Onuf, "Institutions, intentions and international relations," *Review of International Studies*, Cambridge University Press, New York, vol. 28, no. 2, 2002, p. 227.

[32] دافيد أو. سيرز وآخرون، **المرجع في علم النفس السياسي**، ص 459.

[33] David Patrick Houghton, "Reinvigorating the Study of Foreign Policy Decision Making: Toward a Constructivist Approach," *Foreign Policy Analysis* journal, vol. 3, issue 1, 2007, p. 24.

الشرف والمكانة يتمّ على حساب مصالح الدولة،[34] والمُصحّح الأعظم لشتى أشكال سوء الإدراك، حسب رالف وايت Ralph White، هو التفهّم Empathy بمعنى وضع النفس في مكان الآخر لفهم واقعه على نحوٍ أفضل، فالتفهّم الواقعي هو مُضادّ خطأ العزْو وهو مَصدّ الحرب؛[35] ونأياً عن المُوازنة العقلانية للمصالح الذّاتية يراهن المتفهّم، أحياناً، على علاقات "الثقة"، أي التوقعات غير المشروطة بأنّ الآخر سيفعل الصواب، وأنّ إعطاء حرية التصرف للآخر بكلّ ثقة ستدفعه إلى الالتزام بتوفير إطارٍ من الاحترام.[36] بانَ جليّاً تسلّح "الاتفاق الإبراهيمي" بحُمولة التفهّم والثقة، مُدعياً ارتداء عدسات الواقعية السياسية؛ للحفاظ على الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني واستنقاذ المنطقة من مآلات الكراهية والبغضاء، وما هي إلا أيام تلت التوقيع على الاتفاق حتى كشف الاحتلال الصهيوني عن مخطّط لإقامة 6,200 وحدة استيطانية شرقي القدس؛ لقد آمن قادة التطبيع بأنّ الكذب، على شعوبهم وعلى باقي الدول، أداة مهمّة لإدارة شؤون الدولة يتوجب توظيفها إذا كان المقابل تحقيق منافع استراتيجية،[37] غير أنّ الإشكال الحقيقي لا يكمن في كذب القادة، بل في سوء إدراكهم لهذه المنافع ونوايا الطرف الآخر وعقائده ومُدركاته، ولِقصر نظر العدسة التي يفسّرون بها الأحداث؛ أي عدسة الواقعية.

ثالثاً: التطبيع العربي مع الاحتلال الصهيوني، سوءُ إدراك لعقيدة الاستعمار الاستيطاني:

السّمةُ الأهم للصهيونية أنها استعمار استيطاني، أي استعمارٌ لا يأخذ شكل جيش يقهر الأمة المحتلة ليستغلّ مقدراتها الاقتصادية والبشرية، وإنما يركّز على نقل مستوطنين أوروبيين من بلدهم الأم إلى بلدهم الجديد ليستقروا فيه ويتّخذوه وطناً لهم؛ وهو استعمارٌ عميل تبنّته ورعتهُ الإمبريالية لدرجة أصبح المجتمع الصهيوني

---

[34] ريتشارد نيد ليبو، **لماذا تتحارب الأمم؟: دوافع الحرب في الماضي والمستقبل**، سلسلة عالم المعرفة (403)، ترجمة إيهاب عبد الرحمن علي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2013)، ص 25، و195.

[35] دايفد باتريك هوتون، **علم النفس السياسي: أوضاع، وأفراد، وحالات**، ص 379.

[36] Hiski Haukkala et al., *Trust in International Relations: Rationalist, Constructivist, and Psychological Approaches* (London and New York: Routledge, 2018), pp. 2 and 133.

[37] جون جي. ميرشيمر، **لماذا يكذب القادة؟: حقيقة الكذب في السياسة الدولية**، سلسلة عالم المعرفة (443)، ترجمة غانم النجار (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2016)، ص 115.

أكثر مجتمع يتحصّل على المعونات المالية؛[38] والمفارقة أنّ الغرب لم يجعل من "إسرائيل" جزءاً منه إلا حين قام بإخراجها من أوروبا وتصديرها إلى الشرق، فالعداء للسّامية استفحلَ في أوروبا تجاه اليهود، ولكي يُقبلوا كجزء من أوروبا كان لزاماً عليهم أن يُخرجوهم منها؛[39] ومن ثمّ اتّخذت المسألة اليهودية معنى مختلفاً بشكل حاسم لا سيّما بعد أوشفيتز Auschwitz، حين طغت شخصية اليهودي على الأفق التفسيرية لمنظّري الفلسفة القارية، وكتب تيودور أدورنو Theodor Adorno "من البربري أن يُكتب الشّعر بعد أوشفيتز"، أصبح من البذيء التفلسف كما هو معتاد لأنّ صدمة معسكرات الاعتقال التقت بأوهام الحداثة والعقلانية والتكنولوجيا، فكان اليهود محور كتابات جان بول سارتر Jean–Paul Sartre وإيمانويل ليفيناس Emmanuel Levinas وغيرهم ممّن رفضوا إسقاط المقاييس الأخلاقية لمعاناة اليهود على الظلم الكاسح الذي يتعرّض له الشعب الفلسطيني؛[40] قبل هؤلاء برزَ منظّر الديموقراطية والمساواة ألكسي دو توكفيل Alexis de Tocqueville، الذي كان في الوقت نفسه أكبر منظّر ومشجّع على الاستيطان الفرنسي للجزائر؛ يقول دو توكفيل: "ما لم يكن لنا سكان أوروبيون في الجزائر فإننا سنبقى مخيّمين على الساحل الإفريقي ولن نستقر هناك؛ ينبغي أن نجعل الاستيطان والحرب يسيران معاً"؛[41] هكذا تحوّرت المسألة اليهودية مثل ما يتحوّر الاستعمار الاستيطاني، طوّر الاثنان ميكانيزمات تضمن لهما التعايش في بيئة شديدة التعقد، في مقابل ذلك غاب عن الأنظمة السياسية العربية مجاراة هذا التحول على الرغم من أنّ فلسطين ظلّت وستبقى رمزاً لأحجية واقع العالم العربي ما بعد الاستعماري؛ ما يشي بأن موجة التطبيع مع الاحتلال الصهيوني لا تعدو أن تكون لحظةً في حركيةٍ تاريخية متسارعة لم يستوعبها القادة العرب، وفي ذلك يتشابه "السلام الإبراهيمي" وما تلاه مع اتفاقية مولوتوف – ريبنتروب Molotov–Ribbentrop Pact، أو معاهدة عدم الاعتداء بين الاتحاد السوفييتي وألمانيا، والتي كانت لها آثار

---

[38] عبد الوهاب محمد المسيري، **الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة**، سلسلة عالم المعرفة (60) (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1982)، ص 124–125.

[39] عزمي بشارة، **أن تكون عربياً في أيامنا** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009)، ص 136.

[40] Zahi Zalloua, *Continental Philosophy and the Palestinian Question: Beyond the Jew and the Greek* (New York: Bloomsbury, 2017), p. 3.

[41] ألكسي دو طوكفيل، **نصوص عن الجزائر: في فلسفة الاحتلال والاستيطان**، ترجمة إبراهيم صحراوي (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2008)، ص 61.

مدمّرة على العالم، وما زالت توسم لحدّ اليوم على أنها سوء إدراك من القادة السوفييت للموقف الدولي، وبالمثل يظهر سوء الإدراك العربي في المناحي التالية:

1. التطبيع دعامةٌ للأطماع الصهيونية الجيو–سياسية: يكمنُ جوهر الجيو–بوليتيك الصهيوني الشرق أوسطي؛ في الحفاظ على مركزية الأيديولوجيا للهيمنة على الأرض والمياه وتركيبة الأمن، والتزامُ الاحتلال بإبداء الرغبة في محادثات "السلام"، هو مطيّة للدفاع أكثر عن موقفه الأصولي والمتزمت في إدمان المظلومية، والذي يصوّر "إسرائيل" على أنها دولة اليهود المحاصرة المتمسّكة بالديموقراطية في ظلّ بيئة جيو–سياسية مضطربة، ومن اللافت أن يتوافق "الاتفاق الإبراهيمي" زمانياً مع مخطط "إسرائيل 2020" المتبنّى سنة 2003، وهو مخطط يطرح رؤية تنموية واسعة النطاق وغير مركزية تهدف إلى زيادة مستمرة تراكمياً في أعداد اليهود، وتحويل "إسرائيل" إلى مركز جذب ديموجرافي؛ لذلك أيّاً كانت طبيعة التغييرات في الشرق الأوسط ستظلّ سياسة المستوطنات الصهيونية ثابتة وغير قابلة للتغيير وبمنأى عن أيّ تحوّلات سياسية.[42]

2. التطبيع "سلامٌ" مُتَعَامٍ عن حرب الديموجرافيا الصهيونية: أعلن المطبّعون فتح صفحة جديدة من التعاون غير المشروط مع الاحتلال الصهيوني، وتماهَوا بذلك، بشكل عجيب، مع مقولة تسيبي ليفني سنة 2013: "إننا لا ننوي الجدال في شأن الماضي، لكننا نريد اجتراح الحلول وصنع القرارات من أجل المستقبل"؛ يحيلُ هذا التماهي إلى أن قضية اللاجئين، على مركزيتها وعدالتها، لن تكون في حكم المؤجّل بل هي في حكم الملغاة، فلا مجال لأحقية الحديث عن طرد الصهاينة لما يقارب 750 ألف فلسطيني من موطنهم عقب نكبة 1948؛ وستفسح هذه الهدنة الباب للصهيونية لتخوض بأريحيةٍ وغلبة معركة الديموجرافيا أو حرب المُهود، وما ينجرّ عنها من سلوكيات وقرارات عنصرية متطرفة؛ على غرار بناء الجدار العازل الذي رأى فيه بنيامين نتنياهو أنه يساعد في منع التدفّق الديموجرافي، بل إن النظرية الديموجرافية الصهيونية لا تمانع من تحسين معايير التعليم لعرب "إسرائيل"، حيث تفترض هذه النظرية وجود رابطٍ بين

---

[42] غازي وليد فلاح، "التداعيات الإقليمية لمطلب إسرائيل باعتراف الفلسطينيين بها دولة يهودية،" في مجموعة مؤلفين، **قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني: الكولونيالية الاستيطانية وإعادة تصوّر مستقبل المشروع الوطني** (الدوحة، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ج 2، ص 209، و211.

مستوى التعليم وانخفاض معدّل الإنجاب؛[43] يتعامى التطبيع عن هذا السلاح في الحرب الاستيطانية كما يتعامى عن حقيقة فصل قطاع غزة سنة 2005 لأسباب ديموجرافية، وتشير التقديرات، أنه وفي ظلّ استمرار هذا الستاتيكو، فإنّ الغلبَة الديموجرافية سنة 2048 ستكون بشكل مريح لليهود، وبالتالي سيصبح من الممكن واقعاً تصور دولة واحدة بأغلبية سكانية يهودية.[44]

3. التّطبيع إقرارٌ بالتّشظي ودعمٌ للعنف داخل فلسطين: ينظرُ الاحتلال الصهيوني إلى الانقسام الفلسطيني السياسي – الجغرافي على أنه منعطف تاريخي مهم من شأنه إضعاف الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية وإفقار عدالة قضيته دولياً؛[45] وبشكل يتجاوز ظاهرة البانتوستانات تمّ تغليف مواطني غزة والضفة الغربية بأغشية خلف جُدُر، فنشأت مفارقةٌ استيطانية بامتياز وهي أن الجسم الغريب أصبح هو الرافض أو المتقبّل، متى شاء، للجسم الأصيل؛[46] وبحسب دراسات ما بعد الكولونيالية فإن النخب الحاكمة تنخرط بشكل مباشر أو بالوكالة، بقصد أو بدون قصد، في أعمال عنف مدبرة ومدعومة من الاستعمار الاستيطاني والقوة العظمى، وبالمثل، في حالة فلسطين، كشف تقرير المبعوث الأممي ألفارو دي سوتو Álvaro de Soto عن خطة أمريكية هدفت للإطاحة بحكومة حماس عسكرياً وإحباط أي جهود لإمكانية قيام تحالف مع فتح، وذكر التقرير ذاته أن إثارة الاستياء الشعبي ضدّ حكم حماس كان شرطاً مسبقاً لا بدّ من توافره لإقالة الحكومة المنتخبة ديموقراطياً بالعُنوة،[47] وكما أرشدت الوثائق الأمريكية ما كان لأزمة القطاع أن تؤول إلى ما آلت إليه لولا التجاوب الذي أبدته السلطة الفلسطينية وحركة فتح مع ضغوط الإدارة الأمريكية منذ

---

[43] المرجع نفسه، ص 215، و220.

[44] يوسف كرباج، "الديموغرافيا والصراعات في إسرائيل/ فلسطين: توقّعات للمستقبل،" مجلة **عُمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، المجلد 2، العدد 8، ربيع 2014، ص 41.

[45] محمود محارب، "سياسة إسرائيل تجاه غزة،" مجلة **سياسات عربية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد 45، تموز/ يوليو 2020، ص 114.

[46] عزمي بشارة، **أن تكون عربياً في أيامنا**، ص 167.

[47] عماد الصوص، "الديمقراطية المنتخبة والاستبداد النافذ: فشل الديمقراطية الانتخابية الفلسطينية 2006–2007،" مجلة **سياسات عربية**، العدد 45، تموز/ يوليو 2020، ص 19.

سنة 2006، بل وتحوّلت هي ذاتها إلى شريك أساسي في "جريمة" حصار قطاع غزة؛[48] لا يكفي هنا الاعتقاد المُبتذل بأن عداء بعض الأنظمة العربية المطبّعة لحماس هو الدّافع الرّئيسي الذي يقف خلف هذا التواطؤ المُطبق على قطاع غزة، وإلا كيف نفسّر انقياد حزب العدالة والتنمية المغربي إلى هذا المآل المتخاذل؛ لا بدّ من الجزم بأنّ هناك سوء إدراك آخر، ويتعلّق بالمسألة العربية في حدّ ذاتها وللموقف العربي في النّظام الدولي القائم.

4. التطبيع سوء إدراكٍ للمسألة العربية وللموقفية الدولية: يُنذر التراكم الكمّي للتطبيع مع الاحتلال الصهيوني بتحولات جذرية تمسّ الكيْف في القضية الفلسطينية، إذْ إن العرب، وليس الفلسطينيين وحدهم، هم أساس المعركة ضدّ الصهيونية الاستيطانية التوسعية وغير المنتهية، فلا وجود لقضية فلسطينية خارج السياق العربي؛ وباستهلاك دول التطبيع لمصطلحات "وحدانية التمثيل" و"استقلالية القرار" وإيعازها حصراً إلى منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف) فهم يروّجون لـ"فَلسْطنةِ القضية" عوضاً عن قضية فلسطينية شاملة، ومن ثمّ تقليص هذه الفلسطنة، المقلّصة أصلاً، إلى قاطني غزة والضفة دون غيرهم، وتدريجياً ستُعدم المقاومة وتُزال فلسطين من حلقات التحرر ويتحول الصراع الشامل مع الصهيونية إلى نزاعٍ حدودي مُقتضب؛[49] هكذا يستحضر المُطبّع، وبكل قسوة وحزم، دلالية التلاعب بالخطاب والنصوص والتقارير ليكرّس هامشية القضية الفلسطينية الأعم على حساب أولويات السياسات الأمنية الأضيق، عقدة الأحجام القَزَمية والتهديد الإيراني لـ"البحرين والإمارات" وعراقيل توسّع المغرب في الصحراء الغربية، وفي مقابل ذلك يظهر المطبّع ذاته حمْلاً وديعاً حين يتمثّل الانكسار النفسي تجاه المصطلح الصهيوني وتركه عبرياً على حاله دون تغيير أو تعديل، مصطلح "قدس الأقداس" مثالاً لا حصراً، عكس المصطلح الصهيوني النابع من الإيمان بأن اليهودية انتماءٌ قومي؛ على سبيل المثال تتمّ عبرنة موسى إلى موشيه وإسحاق إلى يتسحاق،[50] فالتطبيع ليس مسايرةً للاستيطان في الاستيلاء على الأرض فحسب، بل يمتدّ ليكون معيناً له لإحكام قبضته على السيكولوجيا واللغة؛ ويدرك المطبّع أن

---

[48] أسامة أبو ارشيد، "توجهات السياسة الخارجية الأميركية نحو غزة بعد عام 2007،" مجلة **سياسات عربية**، العدد 45، تموز/ يوليو 2020، ص 140.

[49] عزمي بشارة، **أن تكون عربياً في أيامنا**، ص 171، و174.

[50] عبد الوهاب المسيري، **في الخطاب والمصطلح الصهيوني: دراسة نظرية وتطبيقية** (القاهرة: دار الشروق، 2003)، ص 29.

التعويل العربي الزائد على الشرعية الدولية والمجتمع الدولي ما هو إلا مناشدة لعوالم افتراضية حلّت محل العالم الحقيقي: عالم معركة التحرر والمقاومة، وهو توغّلٌ في خطْب ودّ الولايات المتحدة وتغليب واقع ميزان القوى الدولي غير المتوازن في الأصل؛[51] ميزانٌ يذوي ويترنّح منذ عقود تحت وطأة راهنية الروح الليبرالية للقانون الدولي.

يقول الاستراتيجي كارل فون كلاوسوفيتز Carl von Clausewitz "الحرب هي استمرارٌ للسياسة بوسائل أخرى"؛ يُدرك الاحتلال الصهيوني أن علاقته بالمحيط تقوم أساساً على العدوان والعداء، وبفَرادةِ لحظة تاريخية نادرة منحته موجة التطبيع فرصة مؤاتية لقولبة مقولة كلاوسوفيتز السابقة إلى "السياسة هي استمرارٌ للحرب"؛ غير أن حركية التاريخ تنبئ بأن التطبيع العربي في عهد دونالد ترامب ليس إلا عارضاً أو ضرراً هامشياً لحَدثٍ أكبر بوقْعٍ جَلَل؛ ذلك هو اتّفاق أوسلو سنة 1993 أو النكبة الثانية بعد نكبة 1948؛ وأن تحرّر منظمة التحرير من كفَنها، ورفع الحصار عن غزة، ووضع حدّ لتشرذم الأطراف الفاعلة، ومن ثمّ التفرّغ الواعي لمعركتَيْ الاستيطان والديموجرافيا لن يمرّ حتماً إلا بمراجعة نقدية شاملة لنكبة أوسلو.

بدلاً عن الخاتمة: نحو تصفيةٍ أبدية للتّطبيع:

"الاتفاق الإبراهيمي" سليلُ نكبة أوسلو؛ تلك اللحظة التي جعلت الصهيونية تسبق فلسطين والعرب بخطوة، وباتت كلّ مفاوضات مستقبلية تبدو أنها مقيّدة بخيوطٍ متشابكة أُبرمت بإحكام لدرجة أن أسلوب التفاوض الفلسطيني منذ سنة 1993 بدا وكأنّه يتّسمُ بسوء التنظيم والافتقار إلى خبراء حقيقيين؛[52] وعلى الرغم من أن التطبيع ركب موجة ما هو قائم، واستبعد القضية الفلسطينية من كونها أهم عقبة في عملية "السلام" الشرق أوسطي إلى تصويرها على أنها مجرد إلهاءٍ عن التهديدات الحقيقية المباشرة؛[53] بالرغم من ذلك تبدو هذه الأفكار الرّنانة عن الواقعية وبراجماتية الدولة، والتي تُسخّر

---

[51] عزمي بشارة، **أن تكون عربياً في أيامنا**، ص 175.

[52] إدوارد سعيد، **"أوسلو 2": سلام بلا أرض** (القاهرة: دار المستقبل العربي، 1995)، ص 9.

[53] Aziz Ur Rehman, "Causes behind the Abraham Accord and its consequences For the peace process in the Middle East," *The Middle East Journal for Social Sciences (MEIJSS)*, Malaysia, vol. 2, no. 4, 2020, p. 73.

لها مراكز أبحاث وقنوات إعلام، تبدو حبيسة فكّيْ كماشة، ومأزقاً حقيقياً لا ينفكّ أن تظهر آثاره غير المتناسقة على المدى القريب، فمن جهة لا تعدو الواقعية أن تكون ترديداً معيباً لأيديولوجية سائدة يقوم بترديدها وترويجها مثقّفو الطبقة الوسطى أو "مثقفو الأجهزة الأمنية" الذين يستعين بهم الحكّام العرب غير الديموقراطيين، لا سيّما أولئك الحكام الذين بنوا صرح منظومتهم على أساس الشرعية الباعثة على السعادة؛ يقول إدوارد سعيد: "إنّ قبولنا كفلسطينيين بنصيحة استراتيجيي الأمر الواقع معناه خسارة جولة مفاوضات الوضع النهائي حتى قبل دخولها"،[54] ومن جهة ثانية تنزعُ الدول المغالية في، والمفتتنة بالواقعية إلى القفز على قاطرة المرشح الأقوى أو الفائز الراهن في النظام الدولي حتى لا تُعرّض الخسارة أمنهم للخطر، ويحاول المُتقاطرون زيادة مكاسبهم وتقليل خسائرهم ولا خيار في ذلك للدول الضعيفة، مثل دول التطبيع، سوى إجادة "التخمين"، فهي تأمل أن انحيازها المبكر للأقوى والمنتصر سيجلبُ لها معاملة تفضيلية، ولكن في حالة الفوضى الدولية لا ضامن بأن ينقلب المهيمن على المتقاطر لاحقاً؛[55] تماماً مثل ما تعيش الرباط المطبّعة على وقع مطارق اللا يقين من أن تلجأ إدارة جو بايدن Joe Biden أو إدارةٌ لاحقة إلى إلغاء اعتراف ترامب بمغربية الصحراء الغربية؛ هي عودةٌ إلى فرضية أنّ التطبيع ليس إلا انزواءً في معسكر المذلولين في العلاقات الدولية، فالإذلال هو ثمن عدم تخطّي المداولات الاستراتيجية، والتّعامي على أن السياسة الخارجية يجب أن تُدار بمنطق أنها "اجتماعية" وليست، حصراً، نتاج لعبة تجري في نادٍ مقفل فواعلهُ وحوشٌ باردة.[56]

تُشير الإحصائيات إلى أن 78% من الرأي العام العربي متوافق على أن القضية الفلسطينية قضية جميع العرب ولا تخصّ الفلسطينيين وحدهم، فيما رفض 88% من المستجيبين اعتراف بلدانهم بـ"إسرائيل"؛[57] بقدر ما تتهافت البروباجاندا التّطبيعية أمام لغة الأرقام وتتكشّف على ضوئها عورة وسم (هاشتاج) "فلسطين ليست قضيتي"، بقدر ما يُحيل ذلك إلى معضلة تلبّسٍ آخر من المُطبع بالواقعية التي تزدري الرأي العام

---

[54] إدوارد سعيد، **"أوسلو 2": سلام بلا أرض**، ص 10.

[55] جاك دونللي، "الواقعية،" ص 60.

[56] برتران بديع، **زمن المذلولين: باثولوجيا العلاقات الدولية**، ص 249.

[57] "المؤشر العربي 2020/2019: في نقاط،" برنامج قياس الرأي العام العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، تشرين الأول/أكتوبر 2020، ص 53، و55.

على أساس أن مطالبه آنيّة ولحظية واستعجالية بعيدة عن الرؤى الاستراتيجية وأن قوته وهمية وعاجزة وليس في مقدورها ممارسة أيّ سياسات زجرية تجاه الدول؛ المفارقة هنا أن هذه الأفكار تعيش غُربة وشذوذاً في مهدها، أيّ في الولايات المتحدة الأمريكية، وكما يقرّ بذلك أساطينُ الواقعية الذين يشتكون من هيمنة التقاليد الاجتماعية على السياسة الخارجية الأمريكية وأن الرؤساء الأمريكيين يتميزون بكراهية شديدة للتفكير بطريقة توازن القوة،[58] فيما يُصرّ صانع القرار العربي، بصفاقةٍ نادرة، على استحضار الواقعية في شكلها المتطرّف للبيئة العربية المتمايزة؛ ما يعني بأن نكران الدول العربية لثِقل الرأي العام ما هو إلا تمثّلٌ ومحصّلة للعيش داخل متاهة ودوامة الشرعية والمشروعية في الداخل، والتبعية والإذلال في الخارج.

إذا كان الاحتلال الصهيوني هو سجّان قطاع غزة، فإن العولمة وربيبتُها الإذلال هما سجّانَيْ دول التطبيع، فالعولمة نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن ويعمل على التفتيت والتشتيت، العولمة هي نهاية السياسة، وإذا غابت السياسة أو انتهت فالبديلُ الحتمي هو الفوضى[59] أو الإذلال الذي يرتبط بإخفاقات الساعين إلى تحديد مكانتهم تحت وطأة عوامل اللا مساواة والانتقاص والوصْم، وإلى أن يكون متاحاً لدول التطبيع أن تعقد العزم لبناء سياسة خارجية اجتماعية، وتتخلّص من المُقاطرة غير اليقينية والمحفوفة بالمخاطر، وأن تُدرك بأن النظام الوستفالي، الذي لم يخرجوا بعد من عباءته، كان مهيكلاً ووظيفياً وحصرياً بدرجة لا تتيح له التكيف تلقائياً مع العولمة، إلى أن يدركوا ذلك يتوجّب على الطرف الأضعف أن يعي أنه بقدر ما يتألم ففي مقدوره أيضاً أن يتسبّب بالأذى؛[60] فالمقاومة ضدّ المحتل فعل إنساني نبيل، المقاومة هي الأصل وما دونها هو الاستثناء؛ إن المستعمِر مسؤول ومجبول عن استدامة النقائص الاقتصادية وتعميق القيود السياسية، وما إن يستفيق المستضعف من صدمته سيوجد حتماً جواً من التعاطف الرهيب، المقاومة لا تقاوم وأعمال العنف ستصبح مبرّرة أخلاقياً، في النهاية

---

[58] جون جي. ميرشيمر، **مأساة سياسة القوى العظمى**، ترجمة مصطفى محمد قاسم (الرياض: جامعة الملك سعود، 2012)، ص 10، و29.

[59] محمد عابد الجابري، **قضايا في الفكر المعاصر: العولمة – صراع الحضارات – العودة إلى الأخلاق – التسامح الديمقراطية ونظام القيم – الفلسفة والمدينة** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997)، ص 147، و150.

[60] برتران بديع، **زمن المذلولين: باثولوجيا العلاقات الدولية**، ص 247، و249.

سيكتشف المستعمَرُ وعيه الذي يقوده إلى الهروب من مأزق السّجن، وسيدرك أن هذا العالم الضيّق المزروع بأنواع المنع لا يمكن استبداله إلا بصنوف شتّى من العنف المطلق، فالعنف "أستاذٌ للحقائق الاجتماعية" يسمح للمستعمَر بأن يصبح صانعاً للتاريخ وليس مُتلقّياً له فحسب؛ سيُدرك المستعمِر أنه هو أيضاً عُرضة للموت وأنّ المستعمَر قادرٌ بدوره على العنف، سيكتشف الفلسطيني أن حياته وأنفاسه وقلبه النابض مثله مثل المستوطِن؛ العنف سيُنهي حتماً الوضع الاستعماري الاستيطاني القائم، ويفتح المجال لنزعةٍ إنسانية يتعرّف فيها الطرفان إلى بعضهما بوصفهما كائناتٌ حرة؛[61] إن إحياء المقاومة أولوية قصوى لعدالة القضية الفلسطينية، وهي ردّ ما بعد استعماري عقلاني وطبيعي على أوهام التطبيع الوستفالية، ولكن يجب أن يمرّ ذلك وجوباً بعقْلنةٍ لنكبة أوسلو في شكل توافق واستيعابٍ سياسي شامل.

[61] بوناب كمال، "الأبعاد المعرفية والثقافية والسياسية للفلسفة الفانونية،" مجلة **المدونة**، جامعة البليدة 2، الجزائر، المجلد 7، العدد 1، 2020، ص 463، و464.

Abstract

Normalization with the Zionist Occupation and Its Role in Reviving the Settler Colonial Ideology

This research paper investigates the endeavor of the Zionist settler colonialism to develop an independent discourse and practice that are capable of ousting the established colonial traditions. It assumes that the rhetoric and decision of normalization with the occupying state reflects the shift of Arab foreign policies and their falling into the trap of misperception, which in turn creates uncertainty that would impose dependence on the international system. Furthermore, this paper argues that the resistance and the rejection of normalization is a way to build social foreign policies, in which the determinants of identity, status and honour are addressed; instead of what is prevalent in the official Arab discourse, where international politics are approached through realism while taking into consideration relative gains and narrow national interests; a process that would lead to some sort of dependence and humiliation.

Keywords:

Settler Colonialism	Normalization	Misperception
Foreign Policy	Structuralism	Realism
Social Construct	Discourse Analysis	Resistance

Studies on Normalization with the Zionist State

The Award-Winning Studies of the International Research Competition "No to Normalization"

هذا الكتاب

يُعدُّ التطبيعُ مع الاحتلال الإسرائيلي من أكبر المخاطر التي تواجهها القضية الفلسطينية في الوقت الراهن، حيث إنه يهدف بشكل رئيسي إلى إعادة تشكيل منظومة العلاقات والقيم والمفاهيم العربية والإسلامية تجاه الاحتلال، وفق الرؤية الصهيونية؛ ويهدف إلى عزل فلسطين عن أبعادها العربية والإسلامية والاستفراد بقضية فلسطين سعياً لشطبها، وإغلاق ملفها.

يحتوي هذا الكتاب على 13 بحثاً، تمّ انتقاؤها من الأبحاث الفائزة في المسابقة البحثية الدولية "لا للتطبيع"، والتي نظمتها الهيئة العامة للشباب والثقافة – غزة، بالمشاركة مع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات – بيروت، وأكاديمية المسيري للدراسات والتدريب – غزة، ومركز المبادرة الاستراتيجية – ماليزيا. والأبحاث المنشورة هي أبحاث علميَّة محكَّمة، تمّ إجازتها من الجهة التي حكّمت المسابقة، وقد غطّت الأبحاث بشكل متكامل الجوانب الشرعية، والتربوية، والثقافية، والحضارية، والسياسية، والاقتصادية، والإعلامية، والأمنية، والعسكرية المتعلقة بمقاومة التطبيع.

يُعدّ هذا الكتاب أحد أبرز المراجع المتعلقة بالتطبيع مع الكيان الصهيوني، والتي لا غنى عنها للمعنيين والمتخصصين؛ وقد خضع الكتاب لإجراءات التحرير العلمي من مراجعة وتدقيق وضبط نصوص وتوثيق، حتى خرج في حلته النهائية.

ISBN 978-614-494-026-6

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 5034-14 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net